

تمت كتابة هذا الملخص في مادة علوم القرآن للفرقة الأولى في كلية أصول الدين بالقاهرة

تلخيص : محمد توفيق الحرامي السولواويسي الإندونيسي

مدرس على قناة (MUMTAZ LC)

<https://whatsapp.com/channel/0029Vb6hHoN6BIEjrvIK7I2d>

ملخص الملل والنحل

تمهيد في التعريفات (من صفحة 3 إلى 11)

يبدأ الكتاب بتوضيح منهج العلماء في تعريف المصطلحات، حيث يذكرون **التعريف اللغوي** أولاً (ليبين أصل الكلمة عند العرب)، ثم **التعريف الاصطلاحي** (المعنى المتفق عليه بين فريق من العلماء في فن معين).

1. المعنى اللغوي لكلمة "دين":

تعددت معانيها في اللغة العربية، ومن أبرزها:

- **الطاعة والخضوع**: يقال "دخل في دين الملك" أي في طاعته.
- **الملة والعقيدة**: أي المذهب الذي يتخذه الإنسان لنفسه.
- **الحساب والجزاء**: ومنه قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} أي يوم الحساب والجزاء على الأعمال.
- **القهر والملك**: ويؤخذ من الفعل (دان) الذي يأتي بمعنى حكم وقهر، أو بمعنى خضع (إذا تعدى باللام)، أو اتخذ عقيدة (إذا تعدى بالباء).

2. الدين في استخدام القرآن الكريم: ورد لفظ الدين بكسر الدال في القرآن بمعنيين أساسيين:

- **بمعنى الجزاء**: كما في "يوم الدين".
- **بمعنى الأديان (عام)**: وهو المعنى الشامل لكل دين، صحيحاً كان أو فاسداً، وسواء كان سماوياً أو بشرياً مختراعاً.
- **أضاف القرآن الدين لله تعالى {دين الله} (الدين الحق)، وأضافه للبشر حتى في سياق الكفر، مثل قول فرعون عن موسى: {أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ}.**

3. المعنى الاصطلاحي للدين: استعرض الكتاب رأيين مشهورين للعلماء في تعريف الدين:

- **الرأي الأول**: الدين هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات". ويؤخذ على هذا التعريف أنه يعرف الدين "الصحيح" فقط ولا يشمل الأديان الأخرى الموجودة فعلاً.
- **الرأي الثاني (تعريف د. دراز)**: الدين هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات القوة الإلهية، والقواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها.

4. مناقشة مفهوم الألوهية في الأديان: ناقش المؤلف نقطة مهمة: هل يشترط وجود "إله" ليعنى المعتقد ديناً؟:

- هناك مذاهب كالبودية والكونفوشيوسية يراها البعض خالية من فكرة العبادة في أصلها.
- يرى المؤلف أن كل مذهب يخلو من "الدينونة" (أي الخضوع لقوة عليا بالرغبة والرغبة والتقديس) هو "فلسفة جافة" وليس ديناً، وأن هذه المذاهب لم تستحق اسم الدين إلا حين دخلتها فكرة التأليه.
- كما ناقش وضع الأمم الملحدة (كالشيعوية)؛ هل هي بلا دين؟ يرى المؤلف أن هذه الأمم تتخذ من "إنكار الألوهية" أساساً للإجابة عن تساؤلات الكون، مما يجعله بمثابة "دين" لديهم، لأن فكرة الدين فطرية في الإنسان.

5. التعريف المختار للدين (رأي المؤلف): خلص المؤلف إلى تعريف شامل للدين وهو: "جملة القواعد والقوانين التي تعطي

الإنسان إجابات قطعية عن تساؤلاته حول قضايا الإله والكون والحياة الغيبية."

- إجابات قطعية: أي أن صاحب الدين يأخذها كحقائق يقينية لا تقبل الشك (وهذا ما يميز العقيدة الدينية عن أفكار الفلاسفة التي تظل قابلة للنقاش والتعديل).
- مظاهر عملية: أن يلتزم الشخص بسلوكيات معينة في حياته بناءً على هذه العقيدة.

تعريف الملة (صفحة 11 و 12)

- لغة: تدل على الشريعة أو الدين.
- في القرآن: استخدمت للدلالة على الدين الصحيح {مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ}، أو الدين المخرف {مِلَّةَهُمْ} لليهود والنصارى، أو الدين المخترع {فِي مِلَّتِنَا} للكافرين.
- الفرق بينها وبين الدين: الملة مرادفة للدين في جوهرها، لكن الفرق في "وجه التسمية"؛ فالدين ينسب لله تعالى (لأنه يُطَاع)، بينما الملة تنسب للرسول أو البشر (لأنها تجمعهم).

ثالثاً: تعريف النحلة (صفحة 12 و 13)

- لغة: تأتي بمعنى "مهر المرأة"، وتطلق أيضاً على "الادعاء" بغير وجه حق.
- في القرآن: لم ترد إلا بمعنى المهر {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}.
- اصطلاحاً: يطلقها البعض على الأديان الباطلة أو المذاهب المخترعة بسبب معنى "الادعاء" في أصلها اللغوي. بينما استخدمها علماء آخرون (مثل ابن حزم) كمرادف للدين والملة لتشمل كل المعتقدات. أما الشهرستاني فقد جعل "الدين والملة" للأديان السماوية، و"النحلة" للأديان الوضعية والأهواء.

رابعاً: تعريف علم مقارنة الأديان (صفحة 13 و 14)

يعرف المؤلف هذا العلم بأنه: "العلم الذي يختص بالبحث في الأديان من حيث تكوينها، وتاريخها، وتأثيرها، وتطورها، ومقارنة بعضها ببعض". ولهذا العلم أسماء مرادفة أخرى منها:

1. علم تاريخ الأديان.
2. دراسة الأديان.
3. الملل والنحل.

بداية العقيدة

أولاً: السؤال الأساسي: هل بدأت البشرية بالتوحيد أم بالتعدد؟ (ص 15 - 17)

يوضح الكتاب أن العلماء انقسموا في هذه المسألة إلى رأيين أساسيين:

1. الرأي الأول (التوحيد أولاً): يرى أصحابه أن البشرية بدأت بعبادة إله واحد (التوحيد). واستدلوا بأن عقيدة "الخالق الأكبر" هي أقدم ديانة ولم تخل منها أي أمة. كما استندوا إلى الكتب السماوية التي تخبر أن أول البشر (آدم عليه السلام) كان موحداً. ويشير الكتاب إلى أن الحل اليقيني لهذه المسألة هو "الوحي" لأنها منطقة غيبية لا يدركها العلم البشري وحده.
 2. الرأي الثاني (التعدد أولاً): يرى أن الأديان بدأت بتعدد الآلهة ثم تطورت تدريجياً حتى وصلت للتوحيد. حججهم في ذلك أن الإنسان يبدأ دائماً من النقص إلى الكمال، ومن الخطأ إلى الصواب. واستدلوا أيضاً ببعض الحفريات والآثار التي أظهرت غلبة التعدد في العصور القديمة، وبحال الأمم البدائية الحالية.
- نقد الرأي الثاني: يرد الكتاب بأن الحفريات لا تصل بنا إلى "بداية الخلق" المطلقة، والقياس على الأمم البدائية الآن ليس دقيقاً بالضرورة. كما أن "الراقي" ليس قاعدة ثابتة في المسائل الفكرية؛ فقد تتوصل أمة للتوحيد ثم تنهار وتعود للتعدد.

ثانياً: نظرية التزامن (ص 18)

طرح الدكتور دراز "نظرية ثالثة" مفادها أن الرشد (التوحيد) والضلال (التعدد) قد يكونان ظاهرتين متزامنتين في كل أمة وجيل، فلكل أمة نفوس صافية تدرك الحقيقة ونفوس أخرى تضل عنها. إلا أن المؤلف يرى صعوبة إثبات هذا التزامن في "بداية البشرية" بشكل قاطع.

ثالثاً: التساؤل الحقيقي: وحي أم فكر بشري؟ (ص 19 - 20)

ينتقل المؤلف إلى طرح السؤال الأهم: هل وصول الإنسان للعقيدة الصحيحة كان عن طريق "الوحي الإلهي" أم بمحض "التفكير البشري"؟.

- فطرية السؤال: بمجرد أن يدرك الإنسان الأول وجوده، ستثور في داخله تساؤلات فطرية: (من أنا؟ أين أنا؟ لماذا أوجدني الخالق؟).

- **فطرية الدين:** بما أن الإنسان لا بد له من إجابات لهذه الأسئلة ليحدد طريقة حياته، فإن "العقيدة" هي مكمل لطبيعة الإنسان، فلا يوجد إنسان بلا عقيدة مهما كانت.

رابعاً: لوازم القول بتطور العقيدة من التعدد للتوحيد (ص 20 - 22)

ينقد المؤلف القول بأن الدين تطور من الخرافة والوثنية إلى التوحيد، مبيناً أن هذا الرأي يؤدي لنتائج باطلة، منها:

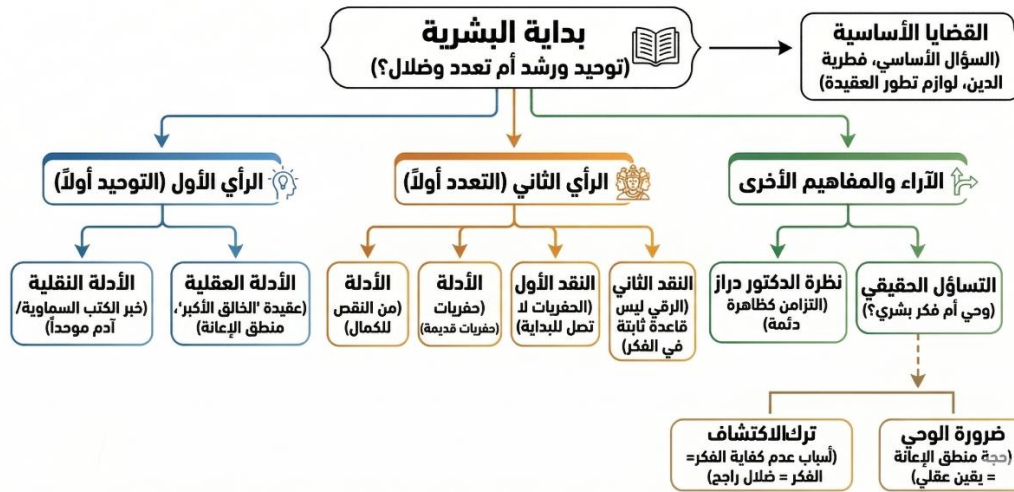
1. أن بداية البشرية ستكون "إلحاداً كاملاً" قبل أن يتصوروا فكرة الإله، وهذا غير منطقي لأن مشاعر الرغبة والرهبة والعبادة تتطلب وقتاً وتراكماً في النفوس.
2. أن الأديان (بما فيها التوحيدية) ستصبح مجرد "خرافات مطورة" لا تعبر عن حقيقة الواقع، مما يؤدي لانحيار جدواها.

خامساً: الحجة العقلية على ضرورة الوحي في البداية (ص 21 - 22)

يقدم المؤلف حجة عقلية قوية:

- **منطق الإعانة:** من غير المعقول أن يترك الله الإنسانية في أول وجودها تتخبط في الضلالات ثم يرسل وحياً ليصححها لاحقاً. فالأولى أن يحميها بالوحي منذ البداية حين تكون العقول خالية من التصورات الخاطئة.
 - **المقارنة مع الحياة المادية:** كما أن الإنسان لم يُترك ليكتشف وظائف جسده (كالتنفس والجوع) بنفسه، بل رتبها الله له لضمان استمرار حياته؛ فكذلك أسس "تحديد قيمة الحياة وغايتها" لا تُترك للاكتشاف البشري، بل يأتي بها الوحي.
- الخلاصة:** إن الإيمان بالوحي يقتضي ضرورة أن تكون البداية "توحيداً خالصاً" حدده الله للبشر منذ اللحظة الأولى، وهو ما تؤيده الأدلة العقلية قبل الأخبار الدينية.

مخطط انسيابي لبداية العقيدة: الرشد والضلال ونشأة البشرية



أسباب التحريف في العقيدة

أسباب التحريف في العقائد (من صفحة 23 إلى 27)

بعد أن قرر الكتاب أن التوحيد هو الأصل، انتقل لبيان أسباب انحراف البشر عنه، وحصرها في عدة نقاط:

1. **قلة العلم وانتشار الجهل:** يبدأ الأمر بإهمال المجتمع لعلاقته بالله وقلة السؤال عن أحكام الدين، مما يؤدي لندرة العلماء الحقيقيين. وعندما يحتاج الناس لفتوى، يلجؤون لجهال يُلبسون عليهم دينهم ويحرفون الكلم عن مواضعه.
2. **الابتداع وعدم الفطنة لمداخل الشيطان:** قد يفعل الناس أمراً بدافع ديني طيب لكنه غير مشروع، فيستغله الشيطان مع مرور الأجيال. وذكر الكتاب قصة الصالحين الذين ماتوا فصنع قومهم تماثيل لهم ليتذكروهم، فجاء الشيطان للأجيال التالية وأقنعهم بعبادتها.
3. **فقد الوحي الصحيح:** عندما يغيب الوحي، يحاول الناس الإجابة عن أسئلة الوجود بعقولهم وعواطفهم فقط، فتنشأ صور مشوهة يظنها الناس حقاً لأنهم وجدوا آباءهم عليها.
4. **التنافس على الدنيا:** عندما تصبح الدنيا هي الغاية، يندفع الناس للخروج عن ضوابط الدين، ويبدأ الأمر بإهمال الأخلاق ثم العبادات وينتهي بالانسلاخ عن العقيدة تماماً.

نشأة علم مقارنة الأديان وتاريخه (من صفحة 28 إلى 33)

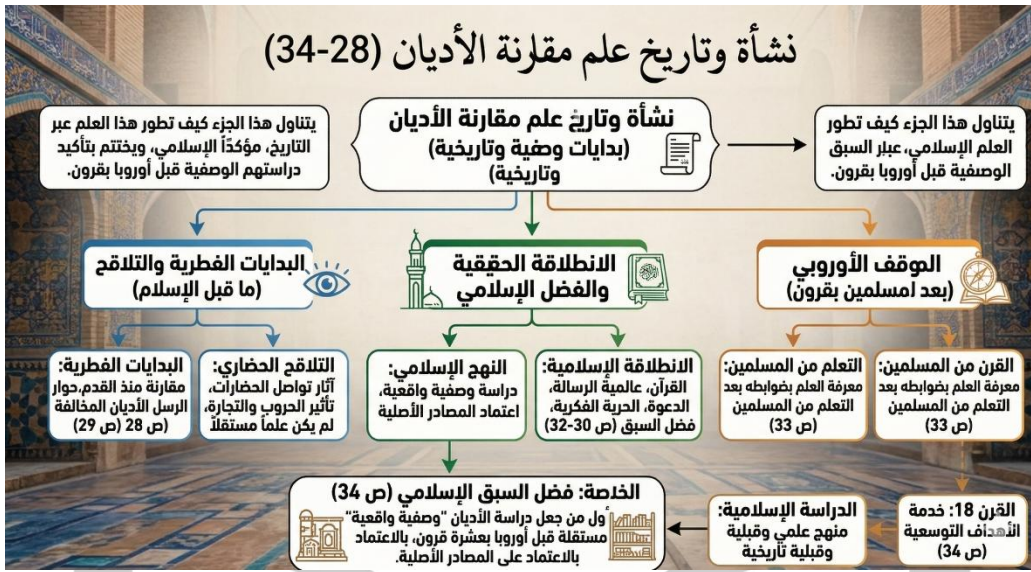
يتناول هذا الجزء كيف تطور هذا العلم عبر التاريخ:

- **البدايات الفطرية:** بدأ الإنسان بالمقارنة منذ أن وجد أدياناً تخالف ما اعتاده، وكان الرسل السابقون يحتاجون لإظهار بطلان عقائد أقوامهم وإقناعهم بالحق، وهذا يتطلب معرفة بأديانهم.
- **التلاقح الحضاري:** الآثار تدل على أن الحضارات القديمة تواصلت وتأثرت أديانها ببعضها بسبب الحروب أو التجارة أو التواصل العلمي، لكنه لم يظهر كعلم مستقل ومؤلف آنذاك.
- **الانطلاقة الحقيقية مع الإسلام:** كان القرآن وحياة النبي ﷺ وعالمية الرسالة هي المحرك الأساسي؛ حيث كان الدافع هو الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.
- **الحرية الفكرية:** وقر الإسلام جواً من الحرية الفكرية، والتزم المسلمون بمبدأ {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، فكان الحوار والجدال بالتي هي أحسن هو السبيل، مما أدى لنشوء علوم عديدة مثل علم الكلام وفقه المذاهب وعلم مقارنة الأديان.
- **فضل السبق للمسلمين:** أكد الكتاب (عن د. دراز) أن العرب والمسلمين هم أول من جعل دراسة الأديان "دراسة وصفية واقعية" مستقلة عن بقية العلوم قبل أوروبا بعشرة قرون. كما امتازوا بالدقة والرجوع للمصادر الأصلية لكل دين بعيداً عن الظنون.

- **الموقف الأوروبي:** لم تعرف أوروبا هذا العلم بضوابطه إلا بعد تعلم أبنائها في ظل الحضارة الإسلامية، وزاد اهتمامهم به في القرن الثامن عشر لخدمة أهداف استعمارية وتوسعية.

خاتمة نشأة العلم (صفحة 34)

يختتم المؤلف الحديث عن تاريخ هذا العلم بالتأكيد على أن المسلمين هم أول من جعل دراسة الأديان "دراسة وصفية واقعية" مستقلة عن بقية العلوم، وذلك قبل أن تعرفه أوروبا الحديثة بعشرة قرون. كما امتاز منهجهم بالاعتماد على المصادر الأصلية والموثوقة للأديان بعيداً عن الظنون والخرافات. أما أوروبا، فلم تعرف هذا العلم بضوابطه إلا بعد تعلم أبنائها في ظل الحضارة الإسلامية، ثم استغلوه لاحقاً في القرن الثامن عشر لخدمة أهدافهم التوسعية والاستعمارية.



فوائد دراسة علم مقارنة الأديان وأهميتها (المبحث الخامس - من صفحة 35 إلى 46)

حدد الكتاب عشر فوائد أساسية تجعل لهذا العلم أهمية كبرى، وهي:

1. القدرة على بيان الحق وإقامة الحجة:

بما أن الأمة الإسلامية مكلفة بتبليغ الرسالة للناس كافة، فإن ذلك يقتضي معرفة أديانهم لمخاطبتهم بما يقنع عقولهم. وضرب الكتاب مثلاً بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وكيف كان يغير أسلوب محاجته بحسب معتقد من يدعوهم، سواء كانوا عبداً كواكب، أو عبداً أصنام، أو من يدعون الربوبية من البشر.

2. دراسة الشبهات والرد عليها:

الحوار مع الآخر يفتح باب التساؤل، وقد تثار شبهات لتشويه الإسلام أو إثبات صحة أديان أخرى، وعلم مقارنة الأديان هو العلم الذي يتصدى لهذه الشبهات بالبحث والرد العلمي.

3. اختبار الأديان بميزان العقل الصحيح:

الأصل أن العقيدة الصحيحة لا تتناقض مع العقل، فكل دين يطلب الإيمان بأمر مستحيل عقلاً هو دين باطل. دراسة الأديان تضعها تحت هذا الميزان ليرى أصحابها مدى منطقية معتقداتهم، وهو ما يحرص عليه القرآن في دعوته دائماً للنظر والتأمل.

4. التأكد من حاجة البشر إلى الرسالات الإلهية:

تُظهر دراسة الأديان في واقعها أن العقل البشري قاصر عن إدراك الحقائق العليا وحده، مما يؤكد ضرورة "المعونة الإلهية" عن طريق الرسل والوحي لتوجيه حياة الإنسان بشكل صحيح.

5. التنبيه لفضل الله في الرسالة الخاتمة:

عندما يقف المسلم على مقدار الضلال والتخبط المحيط بالأديان الأخرى، يدرك قيمة النعمة التي بين يديه، ويفهم الفرق بين النور والظلمات، مما يزيد تمسكاً بدينه وشكراً لله تعالى.

6. التعرف على الأديان ومقدار الصلة بينها:

تساعد هذه الدراسة في معرفة أسباب تشابه بعض العقائد، مما يكشف عن "تأثر" بعض الأديان ببعض. ومثل الكتاب بالتشابه بين عقيدة "التثليث" عند الهندوس (براهما، وفشنو، وسيفا) وبين التثليث في النصرانية المحرفة، مما يرجح أن الأخيرة نقلت بعض عقائدها من الهندوسية الأقدم منها بقرون.

7. اختصار الأماكن والأزمان:

من الصعب على الإنسان التنقل بين كل البلدان لتعلم أديان أهلها بلسانهم، وهذا العلم يقدم للدارس صورة مقربة وشاملة للأديان وتاريخها وما اندثر منها، مما يوفر الجهد والوقت. وذكر الكتاب تقريراً لبعثة أزهريّة أرسلت قديماً للهند لدراسة "المنبوذين" وأحوالهم وفرص الدعوة بينهم.

8. تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف:

أي حوار أو تعاون بين الأديان يجب أن يبدأ بفهم نقاط الخلاف والاتفاق؛ فالبدء بالتعاون دون معرفة مواطن الاتفاق "عبث". واستدل الكتاب بـ "حلف الفضول" الذي حضره النبي ﷺ قبل البعثة، وكيف حدد أن الإسلام يستجيب لكل ما يوافق مبادئه حتى لو كان الداعي مخالفاً في المعتقد.

9. هدوء المجتمعات واستقرارها: احترام عقائد الآخرين في المجتمع الواحد يحفظ بنيانه من الانحلال. كما أن المسلم الذي يريد السفر

لمجتمع غير مسلم يجب أن يعرف ديانتهم ليعرف كيف يتعامل معهم ولا يتعرض للإيذاء. وضرب الكتاب مثلاً بـ "وثيقة المدينة" التي كتبها النبي ﷺ لتنظيم العلاقة مع اليهود، وكيف طبّق عليهم أحكام دينهم (مثل حد الرجم في التوراة) بعد ثبوت علمهم بها.

10. تيسير الانتصار أوقات الحروب:

معرفة معتقدات العدو تساعد في فهم طريقة تفكيره وتصرفه في الحرب. والمثال الأبرز هو حرب أكتوبر 1973م (العاشر من رمضان)، حيث اختار المسلمون بدء الحرب في يوم يوافق عيداً مقدساً عند اليهود (عيد الغفران - كيبور)، مما حقق عنصر المفاجأة.